

حكاية من واقع الحياة

فزاعات الوهم

بقلم

سراج حسين فتحي

siraj.my

المحتويات

الغبار	3
حكاية كل زمن	6
الشات صديقي	12
نمط يتكرر عبر التاريخ	15
الخلاصة العميقة	16
المحطة الأخيرة	16

الغبار



عندما دخلت الى صالة المعيشة وجدت نفيسة ممسكة بجوالها وهي تنصت الى أحد ما ويبدو عليها وعلى ملامح وجهها وتقطيبة جبينها مدى خطورة ما تسمع وأهميته، فتركتها ولم أشأ ازعاجها وقطع مكالمتها، وانصرفت الى المطبخ لأعد لنفسي شاهي العصرية كعادتي.

لما خرجت من المطبخ وتوجهت صوب غرفتي أو بالأصح مطبخ أفكاري وجدت نفوسة سكتت وتفرغت لتتابعني بنظراتها وكأنها تريد اختطافي من نفسي!

فهمت مقصدها فغيرت مساري وذهبت إليها لعلها تخبرني أو تفضفض لي بما لديها، وقد ظهر عليها مدى تأثرها بما كانت تسمعه.



جلست في الكنبة المقابلة لها وسبقتها بقولي: هات ما عندك يا نفوسة.. أكيد لديك أشياء كثيرة ومهمة!

قالت وهي متوفزة: يعني تتريق علي؟ بجد عندي كلام خطير ومهم جدا، وأنا متأكدة أنك لن تقبل ما سأخبرك به.. لأني أعرفك!

قلت لها: لا تخافي كلي آذان صاغية منصتة!

سكتت هنيهات ثم تنهدت بعمق كمن يريد الغوص في أعماق المحيط:

كانت أم زكي تكلمني وعندها أشياء كثيرة ومهمة وخطيرة عن الذكاء الاصطناعي والتيك توك والخرابيط التانية، والمهم كانت تخوفني من هذه الاشياء لأنها سمعت بأنها وسائل شيطانية مخربة ومفسدة هدفها اشغال المسلمين عن دينهم وتخريب عقيدتهم!

تنحنحت، ولكن بهدوء حتى لا أقتل حماستها منتظرا أن تكمل كلامها، لكنها هدأت قليلا وتنهدت مرة أخرى بعمق ثم واصلت: وارسلت مقاطع لبعض المشايخ والمثقفين والاعلاميين الذين يحذرون من وسائل التواصل ومن الغباء الصناعي!

قلت لها: اكملي وأنا مستمع!

قالت: هل تعني أنك لا تصدقهم ولاتقبل كلامهم؟ هؤلاء مشايخ وناس فاهمين، هل سيقولون كلاما هراء؟

قلت لها: لا عليك مني، ارسلي لي ما عندك وأنا سأقرر بعد ذلك لكن الأهم عندي أنت، هل اقتنعت بكلام أم ابراهيم وصدقتيها؟

قالت وكأنها تتحفز لمعركة: أنت دوما لا تقبل كلامي وتعتبرني متخلفة وضد كل جديد، فإذا كنت لا تريد سماع المزيد وليس لديك رغبة في مشاهدة المقاطع فلن ارسلها لك!

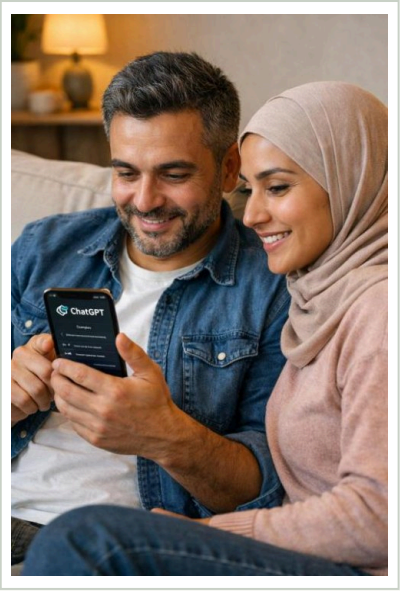
قلت لها ممازحا: الحلوة زعلانة.. الحلوة زعلانة!

ضحكت ضحكة صفراء بلا رائحة وكأنها اعتبرتني أسخر منها فصمتت وأشاحت بوجهها عني وتشاغلت بجوالها كأنها تقول لي اتركني وشأني!

وبالفعل تركت الصالة وتوجهت الى مقصورتي الخاصة أو كما يسميها البعض الكهف، حيث الهدوء والبعد عن المهيجات النفسية.

حكاية كل زمن

فجأة وجدتها تقف على مدخل كهفي وكأنها تستأذن اقتحامه علي، تشاغلت عنها متصنعا عدم الاكتراث، لكني لم أستطع الصمود أمام جبروت حبها، فقلت لنفوستي: عندي لك قصة، ليس من الخيال انما من الواقع والحقيقة ومن حياتنا!



نظرت إلي باستغراب قائلة: عندك حكاية من حكايات النوم؟

وضحكت ثم قهقهت وجلست متحفزة كأنها تريد إظهار اهتمامها وجديتها، فجاءت وجلست في المقعد المقابل لي وتحفزت للاستماع.

قلت لها: كان يا ماكان في عام 1385هـ عندما بدأ التلفزيون السعودي إرساله من جدة، وكان إرساله مشوشا في أغلب الاحيان، رغم ذلك كاد المجتمع أن ينقسم الى فريقين متصارعين أو على الأقل متنافرين، أما الفريق الأول فلم تكن لديه ردات فعل أو موقف رافض تماما وتقبل الموضوع بصورة عادية وسارع معظمهم بإحضار جهازا إلى بيتع دون أي مشاكل، ومنهم والدي يرحمه الله حيث فوجئت بجهاز تلفزيون كبير الحجم صناعة ألمانية، ولم أكن أتوقع ذلك، رغم أن أبي لم يكن منغلقا، لكني لم أتوقع مسارعته إلى شراء الجهاز وكان مرتفع السعر.

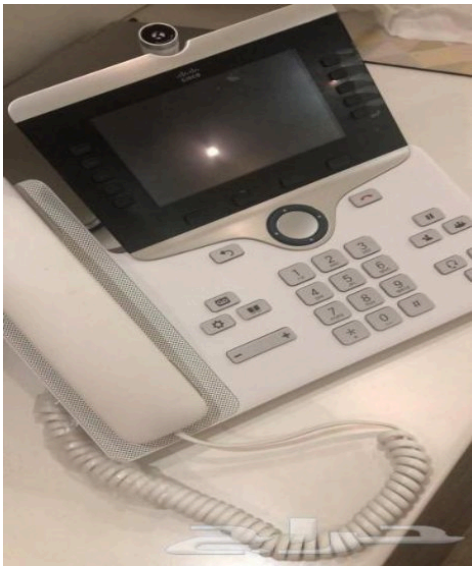




أما الفريق الآخر فقد رفض الحدث تماما ومنهم من أقسم بالله أن لا يدخلنه بيته بتاتا، ، لكنهم وبعد شد وجذب اضطر معظمهم الى إحضار الجهاز الى بيته مرغما وليس عن قناعة، بسبب اضطراره الذهاب الى بيت الجيران ليلا ليحضر أبنائه وغالبا ما يكونوا غارقون في النوم فيحملهم على كتفيه ويأتي بهم إلى البيت، بل إن بعض الاولاد كان يذهب الى المقاهي القريبة منهم ليتابعوا ماكان يعرض في التلفزيون!

ومرت السنوات حتى إذا ظهر جهاز الفيديو أوائل التسعينيات الهجرية ودخل كثيرا من البيوت حصلت ضجة في المجتمع وتغيرت بعض ملامح العلاقات الاجتماعية والأسرية فيه ربما وصلت الى حد التقاطع!

وتمر السنوات حتى إذا حل هاتف السيارة والبيجر حصلت خضة في المجتمع لكنها لم تكن عنيفة إنما حدث شيء من الحراك ونوع من التطوير ولما تنته الحركة حتى تناقل الناس أخبار قرب وصول الأطباق الفضائية (الدش) فحصل لغط كبير وهرج ومرج وصدرت فتاوى تحريمية، بل تم تشكيل فرق تفتيش على المحلات التي تبيع الاطباق والويل لمن يجدون لديه شيئا فالمصادرة عقابه!



ثم هبت عاصفة أخرى تدور حول قرب قدوم ضيف جديد وخطير سيفسد المجتمع ويخرب البيوت وهو تليفون أبو شاشة، وكثر القيل والقال وانتشرت اشاعات ترعب الناس وترهبهم!

وبعد حين ظهر جهاز الجوال أبو كشاف وليس فيه كاميرة ولا يحزنون، وكان موديلاته تنزل السوق أسرع من البرق، ونحن نرى اليوم صغارا يستخدمون الجوال دون رقيب ولا حسيب!

وقبل سنوات قريبة جدا لعلك تتذكرين ما أثير من قيل وقال حول قيادة المرأة للسيارة إلى درجة بالغ بعض المعترضين والمحرمين فتوقعوا حصول انتهاك للأعراض وتفشي الفساد، واليوم نرى المرأة تقود السيارة مثلها مثل الرجل وأغلبهن بكامل حجابهن وتسترهن ولم يحصل ما توهمه المتوهمون بحمد الله.



وأما أحدث قضية بدأت تشغل الرأي العام فهي الذكاء الاصطناعي الذي دخل في صميم حياتنا وانتشرت خدماته وتطبيقاته في معظم المجالات، ومن مبالغات البعض وصفه له بأنه الغباء الصناعي، ولم يجدوا في نفوسهم موقعا له بل ويرفضون أي شيء له صلة به.

وبالمناسبة فإن عموم الناس خاصة المتعلمين وعلى وجه الخصوص الذين درسوا في التخصصات العلمية تعاملوا مع الذكاء الاصطناعي منذ عدة عقود وهم لا يعلمون، وذلك عبر الآلات الحاسبة العادية والمعقدة!



سكت قليلا وتنفست قليلا، وسألتها ما رأيك في كلامي هل أعجبك وهل تريدين المزيد؟

هزت رأسها ويبدو أنها انسجمت مع نشرة الأخبار التي تلوتها عليها، فتوكلت على الله وبدأت تلاوة بقية النشرة فقلت لها: هل مر بك أن قرأت بأنه في عهد الشريف حسين أمير مكة المكرمة عندما وصلت أول سيارة له شخصيا سارع بعض الناس بتقديم العلف لها ظنا منهم أنها الدابة!





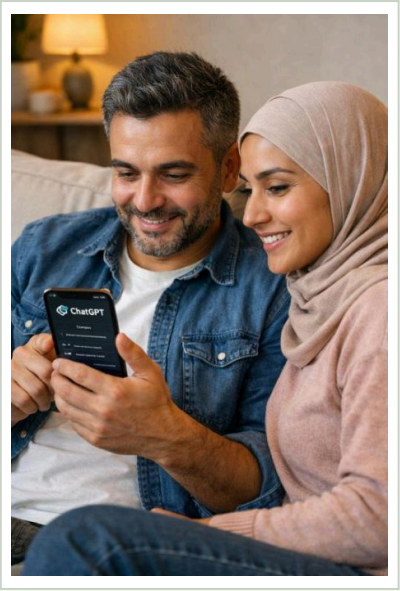
كذلك سجل التاريخ أن الملك عبد العزيز عندما كان يستخدم التلفون السلكي كان من حوله يظنون أنه يكلم الجن!

سادت لحظات صمت وقلت لها: سامحيني أطلت عليك، لكني أحببت توضيح بعض أبعاد هذه القضية التي مرت بنا في مجتمعنا، بل في كل بلاد الدنيا، لأن من طبيعة البشر رفض كل جديد وغريب عليهم، وقد تتفاوت ردود أفعال الناس بناء على خلفياتهم ومستوى علمهم ونوعية ثقافتهم وقدرتهم على استيعاب الجديد الغريب.

وسكت ونظرت نفوسة إلي بعينين محملقتين كأنها تريد قول شيء ما يجوس في نفسها، لكنها قالت:

كلامك صحيح وقد عشت بعض هذه الحالات وأعرفها تماما، لكن أين المشكلة، بل هل توجد مشكلة فعلا أم أن هذا الوضع طبيعي ولابد منه عند ظهور أي جديد؟

الشات صديقي



قلت لها ما رأيك نستشير الشات جي بي تي لعل لديه رأي آخر؟

قالت ساخرة: يعني لابد من أصحابك الاذكياء؟

قلت لها: ليس ضروريا، ولكنهم جاهزون في الخدمة وأسرع تجاوبا من البشر وربما لديهم معرفة وعلوما واسعة!

قالت: ياللا تفضل اسالهم!

ففكرت مليا لأصيغ سؤالا مناسبا حول الموضوع، وبعد لحظات بدأت أكتب مسودة السؤال:

ماهي ردود افعال الناس عند ظهور الاشياء الجديدة من أجهزة وغيرها وهل هذا محصور في مجتمع دون غيره أم هو شائع في كل المجتمعات وعبر التاريخ؟

ولم تمض ثوان حتى بدأ صاحبي الشات يسرد ما في جعبته من إجابة، فقلت لنفوسة:

تعالي انظري ماذا قال الشات جي بي تي

ردود أفعال الناس عند ظهور الأشياء الجديدة – سواء كانت أجهزة، تقنيات، أفكار، أو أنماط حياة – تكاد تكون نمطًا إنسانيًا متكررًا عبر التاريخ، ويمكن تصنيفها بوضوح إلى فئات نفسية–اجتماعية معروفة:

أولًا: الرافضون والمتوجسون (الأكثر ضجيجًا)

سماتهم:

- الخوف من المجهول
- ربط الجديد بالمؤامرة أو الفساد
- استدعاء الدين أو القيم أحيانًا بلا فهم علمي
- الاعتماد على الشائعات أكثر من التجربة عباراتهم الشائعة:
- «هذا تخريب للأخلاق»
- «سيضيّع الدين»
- «نهاية البشرية»
- «بدعة لم يعرفها الأوائل»

تاريخيًا:

- قيل هذا عن الطباعة
- وعن الراديو
- وعن التلفاز
- وعن الإنترنت
- ويقال اليوم عن الذكاء الاصطناعي هؤلاء غالبًا لا يستخدمون الجديد... لكنهم يتحدثون عنه أكثر من غيرهم.

ثانيًا: المتحمسون بلا وعي (الاندفاعيون)

سماتهم:

- انبهار أعمى
- تبنٍّ دون فهم أو ضوابط
- اعتبار كل جديد خلاصًا شاملًا خطرهم:
- يسقطون عند أول صدمة
- يتحول بعضهم لاحقًا إلى رافضين شرسين ثالثًا: المتزنون العقلانيون (الأقل عددًا والأكثر أثرًا)

سماتهم:

- لا يرفضون قبل الفهم
- ولا يقبلون قبل الاختبار
- يفرّقون بين الأداة وطريقة استخدامها موقفهم:
- يسألون: كيف يعمل؟
- ما نفعه؟
- ما ضرره؟
- كيف نضبطه أخلاقيًا؟

هؤلاء هم الذين يُطوّعون الجديد بدل أن يخضعوا له.

رابعًا: الانتهازيون والتجاريون

سماتهم:

- لا يهمهم الجديد ولا القديم
- يهمهم الربح فقط دورهم:
- تضخيم الفوائد
- تسليع الخوف أو الأمل
- نشر الضجيج الإعلامي خامسًا: المتأخرون (الواقفون على الرصيف)

سماتهم:

- لا يرفضون ولا يقبلون
- ينتظرون حتى يصبح الجديد أمرًا واقعًا
- يدخلون بعد أن تهدأ العاصفة

نمط يتكرر عبر التاريخ

الجديد	رد الفعل
الكتابة	ستضعف الذاكرة
الطباعة	ستفسد العلم
الراديو	صوت الشيطان
التلفاز	هدم الأخلاق
الإنترنت	خراب البيوت
الذكاء الاصطناعي	نهاية الإنسان

السيناريو واحد... الأسماء تتغير فقط.

الخلاصة العميقة

- المشكلة ليست في الجديد
- ولا في القديم
- بل في عقلية التعامل

الجديد بلا عقل خطر

والعقل بلا تجديد جمود

وأخطر الناس:

- من يخوّف بلا علم
- أو يُغري بلا وعي ولما انتهت نفوسة من القراءة، وعدتها بإرسال المقال اليها بالواتس لعلها تستوعب الرأي وتقتنع وتعيد ارساله الى من تعرفهم وتراسلهم، لأن القضية متكررة وتاريخية وليست حديث العهد، ومن المهم أن تكون هذه الرؤية منشرة ويعرفها الجميع حتى لا تحصل مصادمات أو اختلافات بينهم.

قلت لنفيسة: ما رأيك في كلام الشات الذكي؟

أجابتني وكأنها تجرجر الحروف والكلمات من أعماقها: بصراحة كلامه جيد ومرتب ومنطقي بعيد عن الانفعال والافتعال والتضخيم والتهويل أو حتى التهوين، العجيب لو أن الإجابة من البشر لما كانت بهذا التنسيق، والتفنيد، والتسلسل المنطقي، والدقة!!

تنهدت بعمق قائلا: الحمد لله ها أنت بنفسك شهدت شهادة حق على قوة وعمق الشات جي بي تي، وهذا غيض من فيض كما يقال، وبالطبع توجد برامج أخرى ذكية مماثلة لكنها بصراحة ليست في مستوى أداء الشات وسعة معلوماته.

قالت ساخرة: يا حلاوتك يعني انتصرت علي؟

قلت لها: أبدا الموضوع ليس معركة شخصية ولا توجد مصلحة فردية إنما هي الحقيقة كما ذكر الشات وموضوع تاريخي وليس بجديد كما يظن البعض.

المحطة الأخيرة

سألت نفوستي إذا كانت مستعدة للحديث حول الموضوع، فتململت قليلا وكأنها تريد صرف النظر عنه الان، فقلت لها: هل نكمله فيما بعد؟

هزت رأسها بالموافقة، فاستأذنت منها وتوجهت نحو كهفي العزيز.

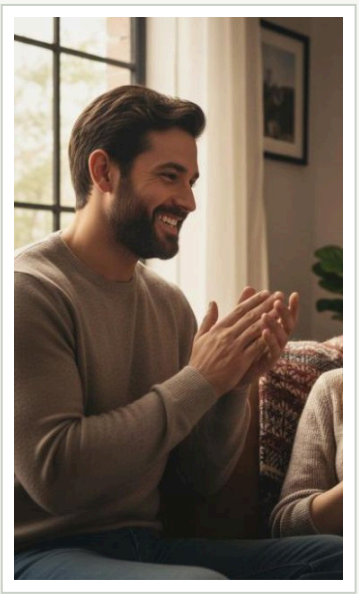
كدت أن تضيع ليلتي بلا نوم فأقنعت نفسي بالتوقف عن مجرد التفكير في الموضوع، وأشغلت نفسي بتشغيل اللابتوب فلدي من الأشياء ما أقضي فيه بقية وقتي.

لكن ورغم كل المحاولات لم استطع التوقف عن التفكير في الموضوع لأنه قضية عامة تشغل معظم الناس المثقفين والمتعلمين وليس عوام الناس، ويقضون أوقاتا طوالا في الشد والجذب ولو من غير معرفة أو ممارسة وغالبا بناء على ما يقوله فلان وعلان، وكم من خير يفوتهم ويحرمون أنفسهم منه بسبب التوجس والمخاوف الوهمية غالبا وليس أسس علمية ومعرفة يقينية.

وفجأة جاءت نفيسة وكأنها تريد مواصلة الحديث عن الموضوع، فسألتها: ما الذي أتى بك؟ الا تريدين النوم؟

قالت: بصراحة كلامك وكلام صاحبك العم شات شغل تفكيري واستولى عليه بشكل مخيف!

قلت لها: أنا انتهيت من طرح مالدي وكذلك الشات شرح الموضوع بطريقة رائعة ومفصلة ودقيقة، والان دورك لتقولي كلمتك!



قالت وهي تبتسم: بصراحة ليس لدي أي اضافة فصاحبك الشات قال كل شيء ولم يترك لا شاردة ولا واردة الا وغطاها.

صفقت بحرارة فرحا بما توصلت اليه نفوسة من قناعة، فقلت لها:

خلاصة الكلام أن المشكلة تاريخية وطبيعية لدى كل البشر وليس في مجتمعنا فقط، ولن يتوقف قطار الرافضين للمستجدات وكذلك قطار المتقبلين المقتنعين فهذه طبيعة الحياة!

قالت: الأهم أن نتفهم هذه الحقيقة وتستوعب هذه القاعدة حتى لا نضيع أوقاتنا في اللت والعجن والصراع والخلافات!

صفقت مرة أخرى وقلت بأعلى صوتي: ممتازة يا نفوستي!

ثم هدأت وقلت لها: الواجب أن تصل هذه الرسالة لكل الناس سواء المعترضين أو المتقبلين وأن يتفهموا ويتفاهموا ويتقبلوا بعضهم!